# مفهوم التماسك النصي قراءة في دلائل الإعجاز(2)

## مفهوم الاتساق وآلياته:

**بقلم: دكتور/إبراهيم محمد أحمد الدسوقي**

لعل القارئ الكريم ينتظر في بداية هذه المقالة أن يبدأ في وضع يده لتتلمس مواضع التماسك النصي التي أشار إليها الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز غير أننا نذكر القارئ الكريم أننا كنا قد وعدناه بألا نبدأ في هذه القراءة قبل معرفة مصطلحات لا بد من معرفتها قبل الخوض في تلك القراءة وإلا كانت هذه القراءة نوعا من العبث أو ضربا من التعسف ،وإن كان القارئ سيلمح شيئا من ذلك عند صاحب دلائل الإعجاز ونحن نحاول تحديد هذه المصطلحات، لذلك كان لا بد من إيضاح بعض المصطلحات.

## ما المقصود بالاتساق و التماسك النصي ؟

ومن هذه المصطلحات التي يتضح معها فهم المراد ب التماسك النصي مصطلح الاتساق،وهو يعبر عما بين المعاني من ارتباط وتماسك أو اتفاق وتلاؤم؛ لذا كان اختيارنا له دون غيره من المصطلحات التي اختارها النقاد لتعبر عن هذا المعنى، ولعل في قول شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني: "كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب ما يدل على ذلك".

([1])

## أمثلة على الاتساق والتماسك النصي في القرآن

يقول:" وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: " وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين " . فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع! أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم [2]بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة؟ وهكذا، إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها

إن شككت فتأمل! هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها، وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ قل: ابلعي واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء بـ يا دون أي نحو: يا أيتها الأرض. ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعي الماء، ثم اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، ونداء السماء وأمرها كذلك بما فجاء الفعل على صيغة فعل الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة .يخصها. ثم أن قيل: وغيض الماء قادر

## الاتساق والانسجام العجيب في القرآن

ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: " قضي الأمر " . ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو " استوت على الجودي " . ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن. ثم مقابلة قيل في الخاتمة بـ قيل في الفاتحة. أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النطق ؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟

وعلى أية حال، فالمراد من مصطلح الاتساق هنا هو "تلك العلاقات المعنوية الملحوظة القائمة ([3]) في النص حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها .

"([4])

:وهذا الاتساق هو ما يذهب ديبوجراند إلى تسميته بالترابط المفهومي

، أي تجميع المفاهيم CONCEPTUAL CONNECTIVITY

ففي اللغة ضرب من العلاقات لا يمكن الكشف عنها متى اعتبرت الجملة الواحدة ([5]).والعلاقات ([6])منعزلة عما قبلها وعما بعدها كعلاقة الجملة بالجملة تأكيدا، أو بيانا وتفسيرا،أو جوابا .

## ما المقصود بالاتساق بين معاني الألفاظ والتراكيب؟

الاتساق إذن ارتباط بين معاني الألفاظ والتراكيب في النص ، فقد يكون بعض هذه المعاني مقابلا لمعنى آخر ، أومسببا عنه ، أو تفسيرا له. يقول حازم القرطاجني واصفا بعض هذه العلاقات الملحوظة في

النص وهو هنا قصيدة: " ويجب أن يردف البيت الأول من الفصل بما يكون لائقا به من باقي معاني الفصل مثل أن يكون مقالا له على وجه من جهات التقابل أو بعضه مقابلا لبعضه، أو يكون مقتضى له مثل أن يكون مسببا عنه، أو تفسيرا له، أو محاكي بعض ما فيه ببعض ما في الآخر، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر"[7]

## إذا غاب الترابط اللفظي بين الجملتين ماذا ينوب عنه؟

وقد يغيب السبك أو الترابط الرصفي ،كما يسميه ديبوجراند، بين الجملتين ، فيحل محله الاتساق أو الترابط المفهومي كما يسميه ديبوجراند أيضا ،يقول يحي بن حمزة العلوي مؤكدا هذا المعنى:" إن من حق الجمل إذا ترادفت وتكرر بعضها فى إثر بعض ، فلابد فيها من ربط الواو لتكون متسقة منتظمة، كما أن الجمل إذا وقعت موقع الصلة ، أو الصفة، فلا بد لها من ضمير رابط يعود منها إلى صاحبها ، فلهذا تقول: زيد قائم، وعمرو منطلق، فلا تجد بدّا من الواو، وكما لا تجد بدّا من الضمير فى نحو قولك: هذا الذى قام وخرج، من أجل الربط كما ذكرناه، وهذا الصنيع مستمر، اللهم إلا أن تكون الجملتان بينهما امتزاج معنوى، وتكون الثانية موضحة للأولى مبينة لها كأنهما أفرغا فى قالب واحد، فإذا كانت بهذه الصفة ، فإنها تأتى من غير واو"

([8])

## ما الرابط الذي يربط بين الجمل ؟

أرأيت إلى قوله: "إن من حق الجمل إذا ترادفت وتكرر بعضها فى إثر بعض ، فلابد فيها من ربط الواو الواو وهذه إحدى آليات السبك ، أو يكون الرابط لتكون متسقة منتظمة " هكذا لا بد فيها من ربط الضمير " كما أن الجمل إذا وقعت موقع الصلة ، أو الصفة، فلا بد لها من ضمير رابط يعود منها إلى صاحبها" هذه آلية من آليات السبك، وهذه الروابط اللفظية لا بد منها أو بتعبير صاحب الطراز"؟

وهذا الصنيع مستمر ، اللهم إلا أن تكون الجملتان بينهما امتزاج معنوى، وتكون الثانية موضحة للأولى مبينة لها كأنهما أفرغا فى قالب واحد، فإذا كانت بهذه الصفة ، فإنها تأتى من غير واو" هكذا إن غابت الروابط اللفظية حلت محلها الروابط الدلالية وهكذا يكون بين الجملتين امتزاج معنوى ،فتكون الجملة الثانية مثلا موضحة للأولى مبينة لها كأنهما أفرغا فى قالب واحد، فإذا كانت بهذه الصفة ، فإنها تأتى من غير رابط لفظي .هكذا إن غابت الروابط اللفظية (السبك) حلت محلها الروابط الدلالية(الاتساق). ثم يضرب صاحب الطراز أمثلة تطبيقية لهذه الروابط الدلالية فيقول :

## متى يجوز حذف الرابط من الجملة؟

وهذا كقوله تعالى: الم . ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ" ، فإنه من غير واو لما كان موضحا لقوله تعالى: " "ذلِكَ الْكِتابُ" ؛ لأن كل ما كان من القرآن فهو لا ريب فيه ولا شك، ثم قال: "هُدىً لِلْمُتَّقِينَ" ، فإنه موضح لقوله: "لا رَيْبَ فِيهِ" ؛ لأن كل ما كان لا يرتاب فى حاله، ولا يقع فيه تردد، ففيه نهاية خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ" كان واردا " :الهدى، وغاية الصلاح لأهل التقوى وهكذا قوله تعالى ؛ لأن كل من "على جهة التأكيد لقوله:" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر، فهو فى غاية الجهل والعمى مختوما على قلبه مغشي على بصره.

## المراجع


- (1عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز،دار الكتاب العربي – بيروت ط1-1995
- (عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز:16/1 [3] ]
- (محمد مفتاح ،دينامية النص،الرباط،1987،ص44 [4] ]
- ( دي بوجراند،النص والخطاب والإجراء ،ترجمة د.تمام حسان[5]
- (6محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،المؤسسة العربية للتوزيع،كلية الآداب ،جامعة منوبة،تونس
- (حازم القرطاجني ،منهاج البغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان ، ط2،1981 م ، ص290 [7] ]
- ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،المكتبة العصرية، بيروت, ط1،1423هـ 26:2 حمزة العلوي يحي بن ([8]


رابط المقال https://mqqal.com/?p=241341

.واقرأ المزيد من المقالات من قسم شاهد مقاطع فيديو موقع مقال على اليوتيوب،)